في علتهم كيف يفلك بعضهم ... بالبعض فلك الذئب بالاغنام
كم مذنب يأتي الذنوب وجهله ... أو فقره يقساده بزمام
يا للقضاء أما نهاب حكومة ... ان تزهق الارواح في الاجسام
هل قل في الارض الهواء فلا غنى ... عن حكم موت للشقي زؤام
أيضيق جوف السجن عن امثاله ... والقبر أضيق منه عند زحام
لا تستقيم حكومة الا اذا ... قامت معالجة لكل سقام
تغني أخا البؤس اليتيم بفضلها ... حتى تكون كفيلة الايتام
وتزيل أسباب الخصام فيغتدي ... ابناؤه اعداء كل خصام
ما للعقوبة ان تعلم جاهلاً ... لا يذهب الاعدام بالاعدام (١)

القاهرة.

نقولا رزق الله

مكتبة الاسكندرية

(نشر المقتبس في الجزء الثالث مقالة ملخصة من كتاب تركي في نفي تهمة حريق مكتبة الاسكندرية عن عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب بالادلة التاريخية ولما اطلع عليها العلامة المتفنن الشيخ شبلي النعماني احد كبار دعاة الاصلاح في البلاد الهندية بعث لنا برسالة له كان كتبها بالانكليزية في معنى حريق المكتبة الاسكندرية فدفعناها الى صديقنا محمد لطفي جمعة فعربها ملخصة على ما ننشرها. وفي مأمولنا ان لا يحمل القراء هذا الموضوع الا على ارادة تصحيح خطاء تاريخي اذ ليس في نسبتها لاحد رجال الاسلام ما يدعو الى الطعن في الدين نفسه كما انه ليس في نسبتها لبعض رجال النصرانية طعن عليها بالذات والجملة ثلمة ادبية اجتماعية وهذه الابحاث هي موضوع اهتمامها ابداً) . قال العالم الهندي:

ان ما يوجهه الغربيون عامة من اللوم الى المسلمين ويتهمونهم به من احراق مكتبة الاسكندرية ليس سوى احد أمور كثيرة ظلم فيها الغرب الشرق ووجه الاغيار الى المسلمين سهام اللوم بغير حق وقد سرى هذا الاعتقاد الى جميع المشتغلين بالعلم والادب من الافرنج بحيث لا تجد كتاب علم او قصة او تاريخاً او خرافة او مثلاً سائراً الا وفيه ذكر لاحراق مكتبة الاسكندرية وتقريع للمسلمين الذين احرقوها وقد دخلت مكتبة الاسكندرية حتى في القضايا المنطقية وفي من العلم الصراح الذي لا ينبغي ان يشاب بالاغراض والاهواء وهاك

(١) النقر

سؤالاً منطقياً وضعه الممتحنون في سنة ١٨٨٢ في مدرسة كمكتا الجامعة وردفيه ذكر الكتبة:
بين خطأ القضية الآتية: ان الكتب التي تتفق مع القرآن في شيء لا فائدة منها لوجوده والكتب التي تخالفه يجب اتلافها

لم يكتب تاريخ كبير في حوادث العالم الا وورد فيه ذكر مكتبة الاسكندرية. وكثيراً ما كان كبار المؤلفين يشفعون الحادثة التاريخية برأيهم الخاص في هذا الموضوع مظهرين خطأ التهمة او صوابها ويحسن بنا في مثل هذا المقام ان نأتي على الكتب التي استند عليها المؤلف في المراجعة قبل كتابة هذه الرسالة فاول هذه الاسفار تاريخ رومية تأليف العلامة جيبون ونحن نوجه الانظار الى ما كتب في هذا الكتاب عن « فتوح الاسكندرية » وثانيها كتاب اجيبتكا او ملاحظات فلسفية على بعض الحوادث التاريخية تأليف الاستاذ هويت مدرس اللغة العربية في مدرسة اكسفورد الجامعة وفي هذا الكتاب نامر المؤلف القائلين باتهام المسلمين باحراق المكتبة.

ثم كتاب « الخلفاء الراشدين » تأليف وشنجتون ارفنج صحيفة ١١٣ ثم كتاب « تاريخ العرب » صحيفة ٢٥٤ ثم تاريخ بلاد العرب قديماً وحديثاً تأليف العلامة اندريو كريستون صحيفة ٣٩٣ ثم تاريخ نزاع العلم والدين تأليف العلامة درابر الشهير صحيفتا ١٠٣ و١٠٤ ثم مقالة دائرة المعارف الانكليزية الكبرى عن « الاسكندرية » ثم تاريخ العرب العام تأليف العلامة سدليو. ثم شرح العلامة دي ساسي على تاريخ عبد اللطيف البغدادي وفيه كلام مطول وبحث عما عن احراق المكتبة ثم رسالة الهير كربل العالم الالماني التي تليت في مؤتمر المشرقيات في جلسته الرابعة في فلورنسا سنة ١٨٧٨

واغلب كتاب هذه الكتب سيما من يثبتون هذه الاشاعة يبرئون انفسهم بقولهم انهم لم يأتوا بها من عند انفسهم بل هم يستندون في تقرير هذه الحقيقة الى ما كتبه العرب انفسهم في كتبهم وما دونوه في تواريخهم

وأول من اشاع هذه الاشاعة في اوروبا رجل اسمه ابو الفرج وهو ابن رجل من بني اسرائيل اسمه هرون الطبيب. وقد ولد ابو الفرج هذا في ملاطية سنة ١٢٢٦ م. وانتحل ابوه المسيحية فنشأ الولد عليها وتفرغ في صباه لدرس فقهها وتمحيص حقائق تلك العقيدة وكان يحسن العربية والسريانية ولما ظهر علمه وبان فضله عين اسقفاً لجوبا وهو حينئذ في الحادية والعشرين من عمره وما زال يرتقي في درجات الكهنوت حتى صار رئيس طائفة اليعاقبة ولم يكن فوقه سوى البطريرك وكتب ابو الفرج تاريخاً جمعه من مصادر شتى عربية وفارسية وسريانية ويونانية واختصره في سفر صغير كتبه بالعربية وسماه « مختصر الدول » وكان

هو اول من ذكر خبر احراق مكتبة الاسكندرية فلما نقل الكتاب الى اللاتينية سنة ١٦٦٤ بدأت الاشاعة تنفشي في اوربا بأسرها. واليك ما ذكره جيبون في تاريخه بالحرف : وقد ذكر ارفنج وكريستون وفلين وغيرهم ان ما اشيع عن الاسلام والمسلمين من المساوىء لم يكن له ذكر قبل نقل هذا الكتاب « مختصر الدول » الى اللاتينية ومن ذلك الحين ابتدأ الغربيون يبغضون المسلمين ويحتقرونهم وهاك ما جاء في مختصر الدول بهذا الشأن :

ولما احب عمرو يوحنا فيلوبونوس لعلمه وادبه وقربه من مجلسه وادناه من نفسه وصارت ليوحنا دالة على عمرو لقيه يوماً وقال له : لقد ملكتم كل شيء في هذا البلد (الاسكندرية) بعد فتحه . فنحن لا نعارض في امتلاككم ما ينفعكم كما انني لا ارى مانعاً من ان تنتفع بما لا تريدون فسأله عمرو عن غرضه فقال اريد ما في المكاتب الملكية من الكتب والمؤلفات الفلسفية .

فقال عمرو لا بد لي ان اسأل الخليفة في ذلك وكتب اليه يشاوره في الامر فاتاه من عمر هذا الجواب

اذا كانت الكتب التي تشير اليها تتفق مع كتاب الله فلا حاجة لنا بها واذا كانت تخالفه فاتلافها خير واولى .

فوزع عمرو الكتب على حمامات الاسكندرية وامر باحراقها لاحمائها فاستمرت النار ستة اشهر تأكل الكتب . « فاقرأ وتعجب » اه ماجاء في مختصر الدول

وقد انتشرت الاشاعة في اوروبا على هذه الصورة وكان العلامة جيبون اول من نبه الناس الى خطئها فانه قال في كتابه « انني لا اعتقد بصحة هذه الرواية لاسباب قوية منها ان ابا الفرج بن هرون ولد بعد فتح الاسكندرية بخمسة قرون وجاء قبله كثيرون من المؤلفين والمؤرخين ونحن لم نجد لهذه الاشاعة فيما كتبوه عن مصر ذكراً فكيف نعتمد على قوله ونحله من الصدق غير محله .

وقد نبه جيبون بذلك اذهان علماء الغرب فانقسموا قسمين قسم نهض لمناصرة جيبون وقسم قام لمعارضته ومناهضته ومن هؤلاء المستر كريستون الذي كتب تاريخاً للاسلام فانه قال :

« لو فرضنا ان ابا الفرج كاذب فيما قال واستغنينا عن روايته فاننا لا نستطيع ان نغض الطرف عن غيره من كتاب المسلمين انفسهم امثال عبد اللطيف البغدادي والمقريزي وكلاهما ذكر القصة في تاريخه بالتطويل . وكذلك قال الميركبير يل وهو يقول ان عبد اللطيف اول من ذكر هذه الحادثة وهو ايضاً ولد بعدها بخمسة قرون

واذ ان منبع هذه الاشاعة هو ما كتبه مؤرخو العرب فنحن أعلم بما كتبه هؤلاء من غيرنا والمثل العربي يقول « وصاحب البيت ادرى بالذي فيه »

ونحن نعلم ان الافرنج الذي ايدوا الاشاعة اعتمدوا في كتبهم على ما كتبه عبد اللطيف والمقريزي وحاجي خليفة وقد سرت عدوى التقليد الى بعض جهال المؤلفين فنقل احدهم الخبر وعزاه الى ابن خلدون مما دلّ على انه لا يعرف من العربية وكتبها شيئاً. ومن العجيب انه ينقل ما نقل عما كتبه ابن خلدون عن عمر هذا على شهرة الكتاب بين قراء العربية وعلمهم بانه لم يحدث لهذه القصة الكاذبة ذكراً

اما كتاب المقريزي فهاهو بين ايدينا في الجزء الاول من ص ١٥١ وصف المؤلف عمود السواري وهو احد الاعمدة الشهيرة بالاسكندرية نقلاً عن عبد اللطيف البغدادي حرفاً بحرف. اما مكتبة الاسكندرية فقد ورد ذكرها عرضاً في تاريخ المقريزي ولذا يرى الموسيو لانجلان ما كتبه المقريزي عن المكتبة إنما يجيء في كتاب المقريزي الا عرضاً ايضاً.

ومن الغريب ان المؤلفين من الافرنج ممن لم يروا تاريخ المقريزي مرة في حياتهم ويشيرون اليه في كتبهم والى سابقه تاريخ عبد اللطيف. اما الموسيو لانجلان فقد قرأ تاريخ المقريزي في لغته بالحرف ونقل منه تاريخ فتوح الاسكندرية نقلاً وافق فيه الاصل فلم يرد لمكتبة الاسكندرية في خلال ما كتب ذكر او شبه ذكر

وعليه فلا يبقى لدينا الا مؤرخان هما عبد اللطيف وحاجي خليفة وكثيراً ما يشير مؤرخو الافرنج الى الاخير ولكنهم لا يقتبسون منه حرفاً. وقد اراحنا دي ساسي من عناء بحث طويل في هذا الموضوع بان نقل ما كتبه حاجي خليفة بهذا الشأن وهو :

اهتمّ الناس في صدر الاسلام بدرس فروع الشريعة وفنون الطب لاحتياجهم الى الامرين وضربوا صفحاً عما سواهما. ولما كانت العقيدة لم تثبت بعد ولا تزال متقلقلة في قلوب الكثيرين ممن انتحلوا هذا الدين رأى اولو الامر ان يحرقوا ما وجدوه من كتب العلم والحكمة في مكاتب البلدان المغلوبة لئلا يجد الشك سبيلاً الى قلوب المسلمين. اه

ويرى القارئ ان حاجي خليفه نفسه لم يذكر الاسكندرية او مكتبتها بحرف انما ذكر امر احتراق الكتب عامة ولم يعين مكاناً وهذا نوع من التعمية والنقص في التاريخ لا ينبغي الركون اليه او الاعتماد عليه فلم يبق بعد الا عبد اللطيف البغدادي وهو الذي كتب كتاباً فيما شهده في مصر وقد فرغ من تصنيفه في العاشر من شهر شعبان سنة ٦٠٣ للهجرة. وقد جاء فيه من الاغلاط والاكاذيب في وصف منارة سافاري ونسبتها الى ارسطو والاسكندر وغيرهما ما يزعزع الثقة فيما كتبه هذا « الثقة ». وقد ذكر هذا الخبر كبر بل

في رسالته التي قرأها على اعضاء مؤتمر علماء المشرقيات

على ان لدينا دليلاً آخر لعدم ما بناه عبد اللطيف لو فرضنا صدقه . وهو ان عبد اللطيف البغدادي على سعة علمه وفضله لم يكن مؤرخاً بل كان طبيباً حاذقاً ومن يقرأ كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء يعرف فضل عبد اللطيف في الطب وفروعه ولا يخفى ان من يطلب من الطبيب ان يكون مؤرخاً كمن يطلب من المؤرخ ان يكون طبيباً ولو ان ابن سينا والفارابي او احدهما كتب لنا حادثة تاريخية هل يجب علينا ان نثق بها ونعول على صدقها مع علمنا بانهما اختصا بفرع من العلم غير فن التاريخ ؟

اضف الى ذلك ان عبد اللطيف لم يكن مؤرخاً بل كان كتابه عبارة عن مجموعة حوادث رآها في عصره واحب ان يدونها بدون امعان نظر او اعمال فكرة

وبعد فان الواقف على حقيقة التاريخ يعلم حق العلم ان مكتبة الاسكندرية احرقت قبل دخول الاسلام الى مصر اذ لا يخفى ان ملوك الوثنيين هم الذين اسسوها فلما جاءت المسيحية الى مصر وكانت في نشأتها متعصبة لدينها وعلومها تحريض القسيسين والكهنة سعى اهلها في احراق مكتبة الاسكندرية وقد سلم بذلك كثيرون من كبار العلماء في الغرب ومنهم العلامة ارنست رينان الذي القى خطاباً اسمه « الإسلام والعلم » في المجمع العلمي الفرنسوي وذكر فيه ان العلم والدين الاسلامي يجتمعان ولكنه عند ماوصل الى ذكر مسألة مكتبة الاسكندرية قال انه لا يعتقد بان عمراً هو الذي احرقها لانها احرقت قبله بزمن طويل .

وكذلك ذكر العلامة دراپر في كتابه ان يوليوس قيصر عند قدومه الى مصر تجدة كلوبطرة احرق نصف المكتبة وقلده بطارقة الاسكندرية فاحرقوا البقية وذكر اورسيوس انه رأى بعينه اماكن الكتب خالية منها بعد ان صدر امر الامبراطور تيوديوس باحراقها

اما وقد انتهى مالدينا من الادلة بطريق النقل فنحن نعمد الآن الى العقل فقد جاء من الرواية التي اثبتنا كذبها ان الكتب وزعت على حمامات الاسكندرية وبقيت تشتعل ستة اشهر وكتاب الافرنج يقولون ان حمامات الاسكندرية كانت في ذلك الحين تزيد على اربعة آلاف فما مقدار تلك الكتب التي تحرق في ستة اشهر في اربعة آلاف حمام ؟ ثم لننظر في مسألة اخرى تحتاج الى تحكيم العقل : وهي هل يعقل ان عمراً وهو الذي اشتهر بحب العلم واهله وتقريبهم من مجلسه واكبر دليل على ذلك تقريبه ليوحنا مليوبوس ان يعمد الى احراق كتب ثمينة امتدحها له صديقه ولو قيل لنا ان عمراً لم يكن حر التصرف نقول لا بد ان يكتب على الاقل كلمة في نفاسة المكتبة في كتاب الى عمر ولا نظن ان الخليفة كان يخذله في امر كهذا مما للفاتح عنده من المقام والمكانة . مثال ذلك ان الخليفة

يكن يريد فتح مصر ولكن عمرا اخذ ذلك على نفسه فاطاعه الخليفة في فتح مملكة فكيف لا يرضى له ابقاء مكتبة .

ومما يدل على ان المكتبة لم يكن لها وجود في عهد عمرو انه لما كتب تقريره المطول الى الخليفة بعد فتح الاسكندرية جاء فيه : « وفي هذه المدينة اربعة آلاف حمام واربعة آلاف دار لها شرفات واربعون الف اسرائيلي يدفعون الضرائب واربعمائة مكان للرياضة والتنزه واثنا عشر الف حديقة تخرج الاثمار » فهل يعقل ان الرجل الذي لا يغفل في تقريره الحدائق والديار ان يهمل ذكر مكتبة الاسكندرية لو كانت موجودة في عهده على ما لها من الاهمية ونحن نختم هذه الرسالة ببيت من الشعر الانكليزي : « اننا نوجه اليهم سهام اللوم وليس جديراً باللوم سوانا »

الامة الشرقية

وذكرى المستنصرية والنظامية

أيّ خطب دها واي بلية ... قد احاطت بالامة الشرقية
قد وكلنا احوالنا للاماني ... والاماني مضلة للبرية
بعد ان كان علمنا شائعاً تأ ... خذ عنا الطوائف الغربية
قد غدونا نقيه في معمه الجه ... ل ونرعى بجهلنا المخزية
نرفض العلم قائلين حرام ... حرّمته الاوامر الدينية
مثل هذي الدعوى تشوه وجه الد (م) ين والدين كاللآلي المضية
اين منا الحزم المذلل للصعـ ... ـب واين الحمية العربية
اين منا الشعور باقوم والنجـ ... ـدة بل اين تلكم الاريحية
عيشنا كله سبات عميق ... ان بعض السبات صنو المنية
أنسيتم دارَ السلام وعارٌ ... ان تقولوا لقد غدت منسية
ولكم همّ قطرها من ربوع الـ ... ـعلم بلهَ المراصد الفلكية
فطلول المستنصرية لم تمـ ... ـح ولكن منالك منها بقية
تلك كانت مأوى لكل مريد ... راغب في العلوم والمدنية
كم افاضت على أناس علوماً ... فابادوا مناشئ الهمجية
ونظامية النظام ألم تنـ ... ـم عليكم اخبارها المروية
أخرجت من أئمة العلم قوماً ... ناطحوا (اورانوس) في العلوية

كان عيش التلميذ فيها رخاء فيض رزق وحكمة فلسفية
فخليق بنا ونحن اباة الـ (م) يم ان ننبذ الشؤون الدنية
وبأن نقتدي باسلافنا من رفعوا اصرح المنار العلية
فمن العار ان نكون بعصر ال علم ما عندنا ولا كلية
اترى حالنا تبدّل ام نب قى مدى الدهر أمة جاهلية
ليت قومي يذكرون عصاهم يتسلافون خطبنا بروية
ومن العجز ان ننام عن السع ي ونرجو سعادة مرضية

القاهرة حسين وصفي رضا

سدوم القديمة وسدوم الجديدة

اختلف علماء الآثار ورجال البحث والاستقصاء في موقع سدوم اختلافهم في سواها من المسائل العلمية العويصة والمشاكل التاريخية الغامضة والمباحث الاثرية الدارسة فذهب فريق منهم الى ان موقع سدوم كان في الجنوب الغربي من بحيرة لوط في جانب الجبل المعروف بسدوم. وذهب آخرون الى ان هذه المدينة القديمة كانت ممتدة من جنوبي بحيرة لوط الى غربي شاطئ نهر الاردن. وزعم غيرهم ان موقع سدوم وعمورة وادمة وصبويم كان على شاطئ بحيرة لوط ثم غمرت بعد ان خربت. وصرح فريق آخر بان موقع هذه المدن هو بحر الميت نفسه او بحيرة لوط عينها وقد استدل اصحاب هذا المذهب على ذلك باقوال التوراة. فكان موقع سدوم اذا صحّ مذهبهم تحت مياه الجانب الغربي من البحيرة. ومهما تكن تلك الآراء متباينة فقد اجمع اولئك الباحثون على ان مواقع تلك المدن كان في انحاء بحر الميت في القسم الغربي من قارة آسيا

يظهر للمطلع على الاصحاحين ١٨ و١٩ من سفر التكوين — السفر الاول من الاسفار الخمسة لموسى الكليم — ان سدوم وعمورة وادمة وصبويم المتقدم ذكرها قد انحطت آداب سكانها بحيث لا تطبقها شريعة الهية كانت او ادبية او اجتماعية فقضى الله جلّ جلاله بان يعاقب سكانها واطلع ابراهيم الخليل يومئذ على ما سيحل باهل سدوم فسأل واحداً من اهل الله ممن زاروه من قبيل خلاصها والرفق باهلها. فذهب اثنان منهما الى سدوم ولما لم يجدا فيها الا فشو الفاحشة والشر الفاضح اخرجا لوط ابن اخي ابراهيم مع امرأته وابنتيه الى بلدة مجاورة اسمها صوغر. ثم هطلت نار من السماء فاحرقت سدوم وعمورة وادمة وصبويم ومزقت